

...وكأنه حلم

قصص

هاجر سالم الأحمد

الكتاب: ... وكأنه حلم

تأليف: هاجر سالم الأحمد

الطبعة الأولى: 2013

لوحة الغلاف بريشة الفنان : طه البدوي.

دار تموز للنشر و التوزيع - دمشق - سوريا

البريد الإلكتروني للكاتبة :

hajersaleem@yahoo.com

]

الإهـــــــــداء

* يهبني - ومنذ طفولتي - أثوابَ الأبجدية,
ومكحلة خبأها قديماً تحتَ دفاتره.

(طه البدوي)

* يَتيهُ ظلي عني دائماً. أبحثُ عنه طويلاً, لأجده نائماً في أحضانكِ.

(أمـــــي)

* يُلملمُ بقايا الوقت, يصنعُ ساعةً إضافية,
يزرعها شِعراً, ويهبها لنا.

(د.جاسم محمد)

هـــاجر الأحمد

جمرة النص

الشكل السردي كما الأجناس الأدبية عموماً, مغامرة جمالية, يلجها الكاتب مؤمناً إيماناً عميقاً بجدوى رسالته التي يبغي إيصالها, ومتسلحاً بتغطية واعية لكل آلية من آليات الكتابة, وهي آليات لا تتأتى لكل كيان إنساني ما لم يكن يمتلك أرضاً قابلة للنماء, وفكراً قابلا للأخذ والتحويل والتمييز بين الفكرة وما يمكن أن يلمح إليها, وهذا بالضبط ما ندعوه الموهبة الأدبية التي هي العتبة الأولى للولوج إلى العالم الكتابي. ويبقى فتح الباب والدخول إلى جماليات هذا العالم رهيناً بالصقل والمطاولة والقراءة الجادة قصد التجاوز, وبناء الذات الكاتبة بناءاً متفرداً ومتميزاً.

ويبدو لنا من خلال قراءة المجموعة القصصية (وكأنّه حلم) وهي المجموعة البكر للكاتبة الواعدة (هاجر سالم الأحمد) أنّ الذات الكاتبة تقف على عتبة متوازية صلبة, وتطرق من خلال الوقوف عليها باب

الأدب بهدوء وثقة في آن معاً. فالمواضيع وإن كانت منوعة فإنها تصب في جدول إنساني يميط اللثام عن العلاقات الاجتماعية وملابسات الواقع اليومي. وإذا كانت في ذلك قد تشترك مع غيرها من مجايليها وطبقتها في هذا المضمار فإننا يمكن أن نلمح سلاسة وطابعاً خاصاً في قيادة هاجر لدفّة الصورة وقدرتها على التعامل مع اللغة بحميمة ودراية في آن معاً. فالكلمة عندها على مقياس العاطفة, والصورة مركزة, والنص متسلسل تسلسلاً تشويقياً وذلك كله يصب في مصب الانزياح بالمكتوب من التقريري إلى الإيحائي سواء على مستوى التركيبة الصورية داخل النص, أم على مستوى دلالة النص العامة.

وإذا شئنا الوقوف على الملامح الشكلية لقصص المجموعة نجد أنها تقوم على تغليب الوصف على الحوار إلا نادراً, فضلاً عن توظيفها لفلسفة (التعتيب) باقتطاع نصوص من ثقافات معينة وتصدير المتن القصصي بها مع عناية واضحة بالعنوان سواء على

مستوى التصوير كما في عنوان (وكأنه حلم) و (ومضةٌ من حلم آخر) و (أسرار نعش) ... الخ.

أو على مستوى الاختيار الذي يجعل العنوان عندها يعمد إلى اختيار كلمة واحدة وتحميل هذا الاختيار قيمة ايجابية عالية تجعله منفتحاً إلى أكثر من تأويل كما في عناوين (حفرة) و (جدار) و(شاي) و (دنيا) ... الخ.

وبعد, فهاجر الأحمد إمكانية أدبية, أحسبها تمسك جمرة السرد بيد واثقة, وتتطلع إلى النور الذي ينبعثُ منها غير مكترثة بما يفعله الجمر بالكف, مادامت قد وضعتْ في ذهنها أنّ المغامرة الأدبية حريقٌ جميل يمكن أن ينير الدرب للآخرين.. وأجدها واعدة بخير كثير لو كتب لها أن تصقل ما بيدها من جمرٍ ليبدو أكثر توهجاً ولمعاناً.

د.جاسم محمد جاسم

جامعة الموصل. كلية التربية. قسم اللغة العربية

شعاع من حلم

لوحة الشطرنج

(نلعب الشطرنج أحياناً, ولا

نأبه بالأقدار خلف الباب.

ما زلنا هنا..

نبني من الأنقاض

أبراج حمامٍ قمرّية)

محمود درويش

بعد تفكيرٍ طويل, وخيالاتٍ مُتزاحمةٍ عن أحداثِ يومها؛ ارتمتْ بجسدها المنهكِ على الأريكة, ساندةً رأسها بوسادتين صغيرتين, مَحشوتين قُطنا بطريقةٍ تُعطي شعوراً بالرفاهية المفرطة. ومع أنَّ الأريكةَ ضَيقةُ المساحة إلا أنّها اتخذتْ وضعاً مُريحاً يُكسبها القدرةَ على الارتخاء.

تأملتْ الغُرفة: الظلامُ يلفُ المكان, غير متيقظٍ لِشعاعِ ضوءٍ خَافتٍ يتسللُ من شقِ البابِ السُّفلي, وآخر ينسلُ مِن ستارة فاخرة الطراز, اعتنتْ ألا تدخل أيّ ضوءٍ من خارجِ البيتِ في ساعةِ الليل المتأخرة, لكنها رَغبة الإضاءة الحديثة في الإكثارِ من مصادر الإنارة في حدائق البيوت وأفنيتها!

أثارها صوتُ عقربِ الساعةِ الجدارية المعلقة في إحدى زوايا الغرفة, حَاولتْ تَركيز النّظرِ لمعرفةِ الوقت, لكن تصميمَ الساعةِ الغريب, والأرقام التي باتتْ شارحة

صغيرة تكفي للتعبير عنها لم تسمح _وظلام الغرفة_ لها بتمييز الوقت.

مع القليل من التأفف, نهضتْ من هدوئها, تَجرُ أذيالَ المللِ خلفها, لتقتربَ من الساعةِ, وتُدرك الزمن الذي يحيطُ بها. فأوقفها ألم دبَّ فجأة في قدمها بعد أن داستْ على قطعة صلبة على الأرض, ودون أنْ تحاولَ التفكير بماهية الأمر, أردفتْ تُحاور نفسها:

- إنها (ميمي) وطبيعتها التي لا تتغير أبدا, تترك جهازَ التحكمِ الخاصِ بالتلفاز دائما على الأرض!!

مع ضجرها من أفعال أختها ذاتِ الثماني سنوات, وحُبها لها في الوقت عينه, التقطتْ جهاز التحكم من تحت قدمها, وعادتْ إلى الأريكة دون أن تتذكر سبب نهوضها! قَررتْ أن تُتابع أيَّ شيءٍ على شاشةِ التلفازِ بدلاً من الغوصِ في التفكير بمزاجِ نفسها خلالَ هذا اليوم, فالغدُ يوم عُطلة.

أولُ قناة ظهرتْ عند فتحِ التلفاز كانتْ لِعالمِ الطفولة الذي طالما حَلمتْ البقاء فيه, لكنها سرعان ما غيرتْ المحطة مدركة أنّ تلك الأيام رهنٌ في الذاكرة. أبدلتْ الكثير من المحطات, وغيرتْ عدداً لا بأس به من القنوات الفضائية. وأخيراً, والحيرة مالكة لساعةِ الموقف, وعدم الرضى عن أيّ شيء سيد المكان, تَوقفتْ عند فيلمٍ بدا لها جديداً.

رتبتْ أطرافها المرمية على الأريكة, وتَمعنتْ في الأحداث.

كانتْ الأجواءُ تجلسُ في أحضانِ الواحدة ما بعد الظهر, والدخانُ المتصاعد من تلك البناية الضَّخمة مُزج بأصواتِ صُراخٍ, ونِداءاتِ استغاثة, فزادَ توتر الحديثِ ما بين السماءِ الصافية المزاج, والدخان الناتج عن الحريق الذي التهمَ الجهة اليمنى من الطابق السفلي, وتغلبَ سواد الدخان المتَجمع من أطرافِ ممرات, وغرف الطابق على نقاءِ الجو, وتناثر

الغاز الأحادي الخانق بين الممرات محاولاً الخروج إلى السماء.

_بدايةٌ مقلقةٌ, لماذا تتأخرُ سيارةُ الإطفاء بالوصول دائماً في الأفلام؟

قالتْ (منال) باهتمام, وهي تُتابع الحرائق المندلعة داخل الشاشة, بعد أن تناستْ محيطها, وركزتْ على الأحداث. ليعترض مجرى الحدث رجلٌ طويلُ القامة, في عينيه قوةٌ قادرة على اقتلاع المحيط بشتى موجوداتهِ, وهو يضربُ الطاولة بأقسى ما يملك من القوة صارخاً بالشاب الواقف بانتصاب أمامه:

- غبي. كيف يحترق المبنى؟! كيف؟! أين كنتَ؟ ها.....؟!

بدتْ علامات الانزعاج جلية على الشاب, لكنه ظل ملتزماً بالصمت. أردف الرجل الذي يرتدي زياً عسكراً يوضحُ أنه ضابطٌ أو ما شابه:

- لا تسمح لأحد بالدخول عليّ الآن, وتولّ مع الباقين مهمة إخماد النار.

صرخ الشاب:

- حاضر سيدي.

بعد ساعاتٍ متأخرة قضتْ خلالها النيرانُ على أكبر جزءٍ من البناية, وصلتْ سيارةُ الإطفاء الهاتفة بأصوات الإنقاذ المخنوقةِ, وأخمدتْ الحرائق بطريقةٍ درامية واضحة في المبالغة من خلال حركة المسعفين ورجال الإطفاء بعناية مزعومة, والخوف المصطنع يتراءى على وجوههم المليئة بمساحيقِ التجميل!!

- مُملٌ جداً.. ما هذا...؟ ألم يلحظ المخرج الأخطاء المتواترة في النص الحركي للممثلين...؟! الأمر أشبه بالكوميديا..!!

بدتْ منزعجةً من أحداثِ الفيلم, فكرتْ أن تُغير المحطة, وقبل تنفيذ الفكرة, قُطعتْ الأحداثُ بفاصلٍ

إعلاني. تَنهدتْ بضجرٍ, وظلتْ تُتابعُ ما يُعرض من فواصل إعلانية على مضض. حسبتهم في خلدها, وأخذتْ تفكر:

- الأول كان عن مسحوق غسيل, والفخامةُ التي طُرِحَ بها الإعلان أظنها مقنعة لآلاف الناس بأنه الأفضل. لكن ما سيترك المشاهد مرتبكاً أن الإعلان الثاني كان عن مسحوق غسيلٍ أخر, وفكرة الإعلان مقنعةٌ أكثر من السابقة. حسناً سأتخيل أنَّني ربةُ المنزل, وأفكر أيّهما أختار؟! ها هو الثالث عن مسحوقِ غسيلٍ أيضاً.. لا حل أمامي سوى أن أحمد ربي, وأدعو لأمي بطول العمر والصحة.

ظلتْ تُثررُ مع نفسها, وهي تحاولُ عبثاً أن تُدرك ما بها؟ وما الذي يجعلُ قَلبها خاضعاً لشعور البؤس, والملل؟!

كانتْ تُحاولُ أن تتغلبَ على نفسها, مصطنعة كل تلك الأفكار, وماثلة جبراً لما يُعرض أمامها برجاءِ أن تجدَ شيئاً يُعيدها إلى صفائها!

تركتْ جهاز التحكم على حافة الأريكة, بعد أن أطفأتْ التلفاز الذي استسلمتْ بعدم وجود ما يسرُ الخاطر فيه.. استلقتْ بهدوءٍ محركةً إحدى الوسائد الصغيرة الموجودة بقربها, أغمضتْ عينيها, فتخلصتْ مخيلتها من بقايا الضوء المتواجد في الغرفة. وأطلقتْ العنان لمخيلتها النائمة. حاولتْ أن تُحفز مخيلتها علها تذهبُ بها إلى حيثُ تجلسُ نفسها وحيدة, منزعجة, وتعيدها إلى كيانها!

تذكرتْ كلّ أحداث يومها بأدق تفاصيلها. الوجوه هي ذاتها, المنزل لم يُحرك ساكناً لمزاجها صباحاً, وبقي كما هو! حينها آثرت الخروج للوظيفةِ, علها تُبعثرُ رُكاد أفكارها, وتخرجُ بحياة جديدة تولدُ بين طياتِ نفسها, لم يكن هُناك استعداد لأية إشارة مرور أن تغيرَ

موقعها, ولم تجد حجراً على تلك الأرصفة يُحركُ ساكناً لبؤسها.

فتحتْ عينيها وهي تسأل نفسها لماذا آثرت الخضوع للذهاب إلى الوظيفة؟ أما كان من الأفضل أن تبقى في البيت؟ فلو غيرتْ ما تفعله كل يومٍ من الذهاب, لما زاد انزعاجها, ولما شعرتْ برتابة تكرار العمل, وتكرار الحياة بنمط لا جديد فيه.

أغمضتْ جفنيها من جديد, موقنةً أن الأمر فات, وأنها بعد أن عانتْ من حالةٍ مفرطةٍ من الملل من نفسها, هربتْ الأخيرة منها!!

جررتْ أفكارها بحثاً عن فكرةٍ تُخرجها مما هي فيه. سؤالٌ واحدٌ خطر لها: كيف تحاولين التفكير وأنتِ منزعجة؟! ضحكتْ من سؤالها, وهي تُتمتِم بكلماتِ أُغنيةٍ تَحفظها عن ظهر قلب مُنذ الطفولة.

لاحَ في مُخيلتها (خالد) فابتسمتْ برضى. تذكرتْ كيف أعطته اليوم خمسة ألاف دينار هدية. سألها وعلامات الفرحة تتراقصُ حولَ ملامحهِ الصغيرة:

- لمَ هذه النقود يا خالة؟!

أجابته بهدوئها المعتاد معه:

- للمرة الألف أخبركِ لا تنادني بـ (خالة). نادني باسمي (منال).

ابتسم تلك الابتسامة التي تسحرها دوماً ببراءتها, وهي تملأ ملامحه الطفولية المرهقة من كد العمل, أكملتْ حديثها:

- النقود هدية لك, اشترِ ببعضها اللعبة التي تريدها, والبعضُ الباقي للحلوى.

ابتهجتْ أساريرها وهي تتذكرُ منظرَ الولدِ (خالد) ذي العشر ة أعوام, المنظف الذي يعملُ عند بابِ الدائرة التي تعمل فيها, وهو يشكرها بصوتٍ عالٍ, فقدماه لم

تبقياه لحظة أمامها بعد أن سمع كلمة الحلوى, إذ صار يركض وهو يردد (شكراً يا خالة.. شكراً).

أقنعتْ نفسها أنها فعلتْ شيئاً جميلاً في صباحها يومها هذا اليوم المحتومِ عليه بالبؤس, والانزعاج.

ألح عليها سؤالٌ لا تدري من أين وَلِدَ. لماذا أُصابُ بالاكتئاب وأنا لا أملكُ مصيبة تقضّ مضجعي؟ أهو البطر....؟! فـ (خالد) مثلاً, ترك الدراسة لأجل أن يُعيل أمه الأرمل, وإخوته الأصغر منه. مسكين, مع مرضهِ الدائم, وسعاله المستمر الذي يُسببه مرض الربو, يعملُ ويبتسم.

مع تقريع نفسها, وتوبيخها, استسلمتْ عيناها للنوم وهي على تلكَ الأريكة دون أن تغير مكانها.

كانَ المكان يعجُ بألسنة اللهب الحامية, وشرارة النار قد غطتْ ذاك الركن من الحي. الدخان المتصاعد رسم في السماء أشكال البؤس التي تركها لأهل المنزل المحترق. الضجةُ كانتْ على أعلاها, فجميع أهالي الحي

قد خرجوا ليروا السبب الذي جعل ليلتهم ضياءً ساطعاً.

هب الجيران للمساعدة, _إلا الجار منذر لم يخرج من مكانه, ولم يفتح بابه ليرى ماذا يحدث_ !

أما (منال) فوقفتْ بذهولٍ تنظر للنارِ المتصاعدة عكس الجاذبية, خارجة من نوافذ المنزل الكبيرِ القابع في أخرِ رُكنٍ من حيهم.

ظلتْ في ذهولها لبرهة, لكنها سرعان ما بدأتْ تركض محاولةً أن تَدخل إلى المنزل المحترق وهي تصرخ (أنقذوه, أنقذوه). لم يوقفها أحدٌ من رجال الإطفاء المتجمعين في ساحة المنزل الخارجية, ولم ينتبه أحدٌ من الناس لنداءاتها, وصراخها. صارتْ تركضُ بسرعةٍ مقتحمةً ألسن اللهب وكأن أحداً لا يراها, وهي وحدها تجري نحو الحريق !

مرتْ من المدخل, واصلتْ سيرها. بدأتْ تُعاني من صعوبةٍ في التنفس, بعد أن استنشقتْ قدراً كافياً من

الغازات المتصاعدة الطاردة لغاز الحياة. أرهقتها حرارة المكان, وسُعالُها المستمر, وتعثُرها بما أسقطته النار على الأرضية. لكنها كانتْ مُصرة على مواصلة السير.

فتحتْ باب إحدى الغرف, رأتهُ يجلسُ بهدوءٍ, وابتسامةٌ جلية على شفتيه! كان يجالسُ شاباً حول منضدةٍ مربعة, عليها لوحة شطرنج. قد تحركَ أحد جنودها عدة مربعات, وقاطع حركتهُ الوزير المنتصب بين فيلته, وأحصنتهِ, وقلاعه!!

ابتهجتْ (منال) لمنظرهِ المبتسم, صاحتْ وهي تحاول أن تتقدم إلى داخل الغرفة:

- خالد .

منعتها ألسنة اللهب, وبدأ سقف الغرفة يسقط على المنضدة وجالسيها. صرختْ, بكتْ, استنجدتْ بذاك الشاب الجالس مع (خالد). ظل هو الآخر مبتسماً كابتسامة (خالد). و ظلتْ هي تبكي وتسعل, حتى سقط

جزءٌ من السقف أمامها, عَزل بصرها عن ابتسامة (خالد).

فزعتْ من مكانها, فاتحة عينيها. تأملتْ بدقةٍ ما يحيطها؛ كان الفجر قد أتى, والهدوءُ حولها يدلُ على أن الجميعَ مازالوا نائمين. نهضتْ من الأريكة, رأتْ جهاز التحكم بالتلفاز على الأرض, علمتْ أنه الذي أيقظها, عندما سقط على الأرض. فركتْ عينيها, ومنظرُ (خالد) المبتسم لم يفارق ذاكرتها. بدأت تسعل بقوة. إذ مازالتْ تحسُ بالدخانِ يملأ رئتيها.

داهمها منظر المنضدة, والجالسين, ولوحة الشطرنج. تذكرتْ أن من كان يجلسُ مع (خالد) هو نفسه الممثلُ في الفيلم الذي تابعتْ بعضاً منه ليلة أمس !!!

نظرتْ إلى الساعة الجدارية المعلقة, عرفتْ إنَّها السابعة صباحاً. رن محمولها, أوجستْ خيفة لسببٍ تجهله. نهضتْ إلى المنضدة حيث هاتفها, أجفلها منظر

المنضدة المربعة, الذي ذكرها بمنضدة الحلم, والجالسين, ولوحة الشطرنج..

تحققتْ من الهاتف, زميلتها من العمل هي المتصلة, زادها الأمر اضطراباً, فتركتْ الهاتف ولم تجبْ. ترجتْ الواقع في سرها أن يُرسل لها فاصلاً إعلانياً قصيراً, علها تتمالكُ نفسها, وتستوعب الأمر القادم.

قُطع الاتصال, بغضون لحظات وصلتْ رسالة من الزميلة نفسها. كُتب فيها:

(ماتَ خالد ليلة أمس).

طقس مؤجل

(تأمل نقاء الجو, وخضرة الأشجار المنعشة للروح, وزرقة الماء اللامعة... وأحاسيسه تريه جمال الطبيعة ذنباً, و زهوها جرماً...)

خرجَ بسرعةٍ خاطفةٍ, وأغلقَ البابَ خلفه بعنفٍ يُجسدُ توتّره. تَأملَ الحديقة الخارجية لحظة, وسارَ بغضبٍ خارجاً من فناءِ المنزلِ إلى الشارعِ, محاولاً الابتعاد عن صوتِ أبيه الصارخ فيه, وبكاء أخيه الرضيع الخائف من جلبة النقاش الحاد في المنزل. الأفكار متزاحمة في رأسه, والجُملُ التي حفظها من أبيه عن ظهرِ قلبٍ كلما شرعا في الحديثِ عن أمرٍ يخصُ شبابه تملأ فكره, لذا ترك قدميه تأخذانه إلى حيث تريدان, فليس لإدراكه القدرة على تحديد اتجاه سيره في تلك الساعة الفائضة بالغضب والانزعاج.

ظل على نسقٍ من السير المصحوبِ بالتوتر, وأفكارهُ المتصادمة تخطو أمامه على عجلٍ, هرباً من مخيلته الصغيرة التي لَم تَعُد تبصرُ ماهية الدرب, وحقيقة الأمور.

مع جلبة الحوار الدائر في خلده, وتفاني قدرة قدميه على التكهنِ بالطريق الصحيح, شرعَ يصرخُ في نفسه:

- لماذا هو هكذا؟! لا يعرفُ طرق النقاشِ العصري! كلّ ما أخذه من والدي منذ أن وعيتُ الوجودَ هو الأوامر الصارمة, غيرَ القابلةِ للنقاش, لا يسمع مني أبداً !!

ازدادَ غضبه من وقع هذه الجمل, فتوقف عن السير فورها في مكانه, وأعادَ التركيزَ إلى بَصرهِ ليجدَ على جانبه عُلبة مشروبٍ غازي فارغة, متروكة مع مجموعة من أخواتها, وبعض القطع من الكارتون الممزق... ودون تفكير أخذ يَركل إحدى العلب بقوةٍ مُفرغاً جام غضبه خلال تلك الركلة, وكالمجنونِ يضغط على الباقيات ويقلب أشكالها الاسطوانية إلى مسطحات لا معنى لوجوهها, ولم يكتفِ بهذا فقط, فعمد إلى صفع قطع الكارتون المرمية أرضاً بوجه حذائه.

أفزعهُ خروج قطة من بين فتحات السياج الخشبي هاربة من الضجيج الذي أحدثه بأفعاله الصبيانية عبر الشارع إلى حديقةٍ أخرى. فهدأ روعه, وصمت

غضبه لِلحظةٍ مُتأملاً خِفة حركة القطة, ولونها البني الممزوج ببقع بيضاء مشوبة بالصفرة. لكن سرعان ما عاد إلى أذنيه صوت والده المتذمر منه:

(كُنْ واقعياً ولو لِمرةٍ واحدةٍ في حياتك, لماذا تُريد أن تكون مقلداً للقشور دون الجوهر ؟! ارحم بياض رأسي من أفعالك)

ترك بصرَه يجولُ في السماءِ, وقلبه ينادي طالباً من الخالق أنْ يرحمهُ من أسلوبِ والدهِ في الحياة. وبذلك سادَ بعضُ الهدوءِ في نفسه, وهدأتْ أعاصيرُ الطيشِ في فكرهِ. ترك يَديهِ تختبئانِ في جيبي البنطال الأسود الكحلي, وقدميه تخطوانِ باتزان ودون تعثر. عَبرَ الشارع الخالي, وأكمل خطوات عبوره لأسيجةِ الحدائقِ المنتظمةِ الصنع, وبعضُ الأغصان المتدلية تُلامسُ رأسهُ, وهو غيرُ مكترثٍ إلا لصوتِ الطفلِ الذي تَركه في المنزلِ, وحالة الحزن البادية على ملامح والدتهِ المتعبة!

ترك لعاطفتِه المجالَ للتسربلِ حولَ أفكارهِ اليائسة من إيجادِ حلٍ لمشكلته مع والدهِ, وعدم التفاهم الدائم بينهما... وبدأ يسأل نفسهُ من جديد:

_وماذا أفعل الآن؟ كيف أقنعه أنَّ حياتي مختلفة عن حياتهِ الماضية؟ أنَّ أيامَ شبابهِ مختلفة عن أيامنا هذه؟ هو لا يقتنع بأنني كبرت, وأصبحتُ مسؤولاً عن قراراتي. أنا من يعرفُ ما هو المناسبُ لي, وما يجبُ فعله, وما لا يجب! يَعترضُ على كلِ نمطٍ جديدٍ في العيشِ, وكل (مُوضَةٍ) حديثةٍ, مستهزئاً بذوقي! لماذا لا يؤمنُ أنني خُلقتُ لزمانٍ غير زمانه؟!!!

دبّ القنوط من إيجادِ شيء يُقنعُ به والده, وعادتْ هواجسُ الملل وعدم الارتياحِ القاسي تفيضُ في نفسه.

تمعن في خطواته التي أصبحتْ متسارعة كدقاتِ قلبه, فوجدَ نفسه قد عَبرَ البيوتَ, مُقترباً من النهرِ المجاورِ للحي الذي يسكنه. واصلَ سيره على عجلٍ للاقترابِ من الجسرِ القديمِ عند النهر, غارقاً في بحرِ أسئلةٍ لا

جوابَ لها.. تأملَ نقاءَ الجو, وخضرة الأشجارِ المنعشةِ للروح, وزُرقة الماءِ اللامعةِ, وأحاسيسه تُريهِ جمالَ الطبيعةِ ذنباً, وزَهوَها جُرماً؛ وهو القابِعُ في دنيا المصائبِ والهمومِ!!

تأملَ نفسه في هذا المكان, فأوقفَ كلَ أدواتِ التفكيرِ عن عملها, وأخرسَ كل تساؤلٍ مُنبثقٍ عن نفسهِ, فوَقَعَ قراره الوحيدُ للخلاصِ, ظاناً أنْ لا شيء يُخلصه أبداً. راوده جنونُ الغضبِ ثانية, فعزمَ على خَلعِ حذائه, وسترته, وصعدَ إلى حافةِ الجسرِ الدانيةِ, وملامحهُ لا تَروي إلا الثقة العالية بصلاحِ رأيهِ, وأردَفَ مُخاطِباً نَفسه:

- هذا الجسرُ لَم يشهد حادثة انتحارٍ مُنذُ أمدٍ بعيدٍ, لِذا سأعيدُ ذاك الطقس إلى هذا المكانِ مُتخلصاً من رفضِ والدي لتصفيفِ شَعرِي على النمطِ الحديثِ كَكُلِ الشباب. سيرتاح من وجودي. وأرتاحُ أنا من هذا الوجود البشع الرافضِ لنكهة التجديد!!

همَّ بتحديدِ مكانه, ووضعية وقوفهِ على حافةِ الموت. لفتَ نظره المتردد منظر قطة من الجهة المجاورة للنهر تقتربُ من الماءِ. بسرعةٍ خاطفةٍ وصوتُ مُوائها يَعلو في المكان, زلَّتْ أطرافها, وسقطتْ في الماء دُونما رجعة, وغاصتْ بعيداً عن النظرِ.....

فوجئ الشابُ بما رآهُ, وبَدَا على ملامحه الخوفُ والعجبُ. نزلَ عن قرارهِ وعن منصةِ الانتحارِ, وجلسَ يرتدي حِذاءه بهدوءٍ مفزوعٍ, وهو يُتمتمُ في نفسهِ:

- سأعودُ إلى البيتِ, انتهى الأمرُ. فقد أعادتْ قطة الحي حادثة الانتحارِ عن هذا الجسر. مسكينة, لَم تسمح لها والدتها بأنْ تُصففَ شعرَ ذيلها كرفيقاتها على النمطِ الحديثِ ! ! !

الفارس .. والكرسي

إلـى أيّ المـــنافي يـــا صديـــقي ؟!

وهل يجدي عن الذاتِ الرحيلُ ؟!

جاسم محمد جاسم

أصواتٌ مخيفةٌ تأتي من هذا المكان الصغير, أصوات قرقعة, وتحريكُ أوانٍ من أمكانها. إن الصوت آتٍ من المخزن. نعم من مخزن المطبخ.

شعرتُ بلسعةِ هواءٍ باردةٍ صفعتْ وجهي, وبدأ يصل أذني صفيرٌ خافتٌ بعد أن انقطعتْ تمايزاتِ الأصواتَ التي طرقتْ مسمعي في البداية. صرتُ أحسُ بالخوفِ وأنا أفكر فيما يختبئ في مخزن المطبخ الصغير.

الكل يغطُ في نومٍ عميقٍ, مما جعل شعور الأمان يغادرني, ليلازمني شعور الخوفِ, وأنا أجلس على هذا الكرسي الذي هو صاحبي الأول والأخير.

صحيحٌ أنهُ كرسي لا غير, لكنه يعرفُ كل أسراري, إذ احكي له كل شيء. يحفظُ ما أحبُ, وما أكرهُ. ما أفعلهُ, وما أفكرُ في فعلهِ. حتى مخيلتي وأحلامي, بل يشاركني في حملها أحياناً....!

داهمني شعورُ الخوف, وزالتْ كل عوامل الطمأنينة عن نفسي المتوترة. الأصواتُ التي أسمعها بدتْ لي على

فُجاءةٍ كأنّها فارس مغوار, يتجهز لملاقاة فريستهِ, وينقض عليها. فارسٌ مدججٌ بأسلحته, يمتطي حصاناً سريعاً سرعة البرق. غضبه لا يحتمل. و يتأبط رمحه الحاد, ممسكاً بيده سيفه الفتاك, الذي لو أخرج من غمده لأهلكَ كل شيء حوله دون رحمة!

الفارس يتقدم, ويريد الخروج للقتال. وأنا أجلسُ هنا, على هذا الكرسي, مكتّفةَ الأيدي, لا أملك أيّ شيءٍ أدافعُ بهِ عن نفسي, ولا حتى سكين صغير!

انقطعتْ سلسلة أفكاري, حيثُ بدأتُ أجمعها من جديد. قلتُ في نفسي:

أي فارسٍ هذا الذي لا يعرف قواعد القتال الأساسية؟!

أجل, إنّه يجهلُ أصول الأمر. مِن أهم تلك القواعد هي أن لا يكون الخصم مجرداً من السلاح. وأنا بدوري هنا, لا أملكُ أي سلاح!

ولكن لحظة, ربما قد جلبَ معه سيفاً آخر_على أنه لي_ كي نَسلمَ من هذا الشرط, ونشرعَ في القتال. يا إلهي. ما العمل؟!

خطرتْ لي فكرةٌ أخرى للنجاة, فجال سؤالٌ في نفسي:

كيف يأتي فارسٌ مدججٌ بالسلاحِ, والقوة, لينقض على فتاةٍ مثلي؟! لا حول لها ولا قوة. بالتأكيد لن يتحارب معي. ربما يريد مني شيئاً, أو أن أصنع له معروفاً.

لكن سرعان ما انجلتْ لي أثار حقيقة غامضة. فأيّ شيٍ يحتاجُ إلى كل هذهِ الأسلحة؟! وأيّ معروفٍ هذا الذي يُطلبُ بهذهِ الطريقةِ المرعبة؟!

ماذا لو كان الفارس امرأة. . .؟؟ إذن ستأتي وتقاتلني دون شكٍ. لكن ماذا فعلتُ؟؟ وماذا تريد مني؟؟

في لجةِ تلكِ الأفكار, والاحتمالاتِ, والتساؤلاتِ, عن الفارس, وتحتَ عباءة خوفي التي غطتْ تلألؤ عباءة الليل ونجومهِ اللامعه؛ أيقظ العطش أمي, فمرتْ إلى

المطبخ كي تروي ظمأها بكاس ماء باردة. رأتني أجلسُ على الكرسي, في زاوية المطبخ, و تعابير وجهي تدلُ على ما لا تفسرهُ عينٌ مجردة. عرفتْ أنني أمر بسلسلةٍ من الخيالات الغريبة. رأتني وقد تلونتُ بألوانِ الطيف, فتقدمتْ مني بهدوءٍ. قالتْ:

- لمَ لم تنامي إلى الآن؟!

شعرتُ بوجودها, قلتُ بشهقةٍ:

- انتبهي. الفارس _أو الفارسة_ وراءكِ.

استدارتْ إلى حيث تُشير أصبعي, بدتْ الابتسامة جلية في ملامحها. بعطفٍ قالتْ:

- أولاً عليكِ النهوض من هذا الكرسي الذي سيقودكِ إلى الجنون القريب. ثم تعالي وحدثيني. ما الأمر؟؟

بكلماتٍ متقطعةٍ, وبشهقةٍ أزفرتْ جماً من مكنون الخوف داخلي, صرتُ أحدثُ أمي:

- أسمعُ صوت قرقعةٍ من المخزن, وتيار هواءٍ مخيفٍ يصفعني بين الفينة وأختها. والفارس, يا أمي, الفارس الذي تحول إلى فارسةٍ ستهاجمني لتنتقم!!

لم تستطع أمي أن تكتم ضحكتها, لكن تداركتْها لأجلي, فقالتْ:

- لا تخافي يا عزيزتي. لا شيء يدعو للخوف مطلقاً.

قاطعتها بلهجةٍ مرتبكةٍ:

- كيف لا أخاف وكل هذا أمام ناظري...؟!!

حاولتْ أن تشرحَ الأمر, لكن ضحكتها من غرابة ما سمعتهُ مني منعتها للحظة. تمالكَ الموقف, وقالتْ:

- صغيرتي, ما تصفينهِ بصوتِ قرقعةٍ مخيف, في الحقيقة إنما هو صوتُ الضفدع الذي ينزل ضيفاً عنيداً عندنا في مخزن المطبخ منذُ يومين, و والدكِ يحاولُ إخراجهُ!

أما بشأن الهواء الذي أرعبكِ, فهو من نسيم الليل البارد الذي يمرُ خلال نافذةِ المخزن التي كُسر زجاجها في انفجار البارحة.

وأي فارسٍ هذا الذي أخافَ ابنتي الحلوة كل هذا الخوف؟! أعدكِ إذا رأيته أنني سأبلغ السلطاتَ عن هروبِ فارسٍ من الجيش, وهو مختبئ هنا في هذا المخزن!!

سحبتني من الكرسي بيدٍ حانية, عطوفة. وهي تبتسم لي. وربما تبتسم مني!

وأنا ما زلتُ مصرةً على وجودِ شيء يربطني بهذا الكرسي, وسأعرفهُ يوماً من الأيام....!

نهضتُ من الكرسي, وسرتُ حافية القدمين أتبع خطى أمي. نظرتُ إلى حائط المخزن من الجهة اليسرى, لاح لي ظلُّ فارسٍ يمتطي حصاناً أسود, ومدججاً بالسلاح !!

حـــفرَة

(الأهم من الأحداث نفسها, هو ردة فعلكَ تجاهها)

جيه. جي. جاليمور

(المكان يعج بالألعاب, إلا هذه البقعة. ترى ما هي لعبتهم هذه المرة؟!)

قالتْ جملتها, وهي تحاول المرور بين الدمى, والمكعبات, وقطع الورق الملونة, والكثير من الألعاب المزروعة في أرض الغرفة, وكأنها حقلُ ألغام, أو ربما حقل جزر!!

وصلتْ أخيراً بعد أن تأذتْ قدماها من بعض القطع إلى المدفأة المطفأة, قالتْ بتعجب:

(كيف يقوى هؤلاء الأطفال على اللعب في هذا المكان البارد؟!)

بين زحام أفكارها, وتساؤلاتها؛ دخل الثلاثي (النادر) كما كانت تسميهم. وبدأوا بالصراخ والتحدث بكلماتٍ كثيرة, اعتراضاً منهم على اقتحامها حقلهم المزروع بعناية لم تفقها من أول وهلة, إلا أنها انتبهتْ إلى أن كل قطعة من الدمى مصفوفة بطريقة مثيرة للاهتمام. وكل هيكلٍ مشكل من المكعبات الملونة موضوع بشكل يوحي بأنه ليس برج مكعباتٍ فقط !!

حاولتْ أن تُهدأ من انزعاجهم. حملتْ الصغيرة بينهم تلاعبها ظناً منها أنها لا تفقه ما يجري, لتجدها هي الأخرى معارضةً وبشدةٍ أكبر على دخولها الغرفة!

أخيراً وبعد جهدٍ جهيد, ومعاناةٍ في الكلام معهم, واستغرابٍ من بعض جملهم؛ أقنعتهم أنّها ستبقى معهم, ولو قليلاً, ووعدتهم أن لن تعبثَ بأي شيء مطلقاً.

جلستْ على مقربةٍ من المدفأة تتأمل حركاتهم الطفولية.........

أنشغل ابن أختها بتعديل بعض القطع, وإعادتها إلى مواقعها الأصلية, حيث تبعثرتْ بحركة أقدامهم, ومقاومتهم لدخولها عالمهم. أما أختها الصغيرة فجلستْ بهدوءٍ تتأمل ورقةً من أوراق الدفتر, وبيدها الصغيرة الناعمة قلمٌ تخربش به بين الحين والآخر على الورقة. وظلتْ من هي أصغرهم تحومُ حول أخيها, وخالتها الصغيرة, وهي تغني وتدندن بألفاظٍ غير مفهومةٍ تقريباً!

(عادتهم هكذا في اللعب) قالتْ تخاطب نفسها. وسرحتْ في ذاكرتها تراجع ما حفظته من قصائد صباح يومها, وهي تجلس قرب المدفأة تطلب دفئاً.

اقتربتْ منها الصغيرة محاولة اللعب معها. فابتسمتْ الخالة لها. حدثتها قليلاً ظناً منها أنّها ستعود للعبِ مع باقي الفريق. بقيتْ الصغيرة بقربها, فتساءلتْ:

ما الذي يجعلها تبقى معي دونهم؟!

انتبهتْ إلى ابن أختها, وأختها الصغيرة مجتمعين حول البقعة الخالية من الألعاب, يجلسان بحذرٍ ويتأملان بصمتٍ, سألتْ من فورها:

_ (لولو) ما الأمر؟!

لم تجب أختها الصغيرة. فأحالتْ السؤال لابن الأخت:

_ (توفي) ماذا هناك؟ إلامَ تنظران؟!

انتبه الطفل الصغير لسؤال خالته, فأجابها بصوتٍ واضح:

_ (أمونة) خربتْ الجدار الذي صنعناه حول الحفرة.

سألته باهتمام:

_أي حفرة؟!!

وبتعجبٍ وانزعاجٍ أشار الطفلُ إلى المنطقة التي يُحدق فيها, وخالته الصغيرة, وقال:

_هذي, هذي الحفرة!

ضحكتْ دونما أي حرفٍ, أو تعليق. فقد اكتشفتْ أن الصغيرة غيرتْ مسار خيالاتهم فطردتْ من الفريق.

ظل الطفلان لفترةٍ قابعين عند الحفرة, يتمتمان ببعض الكلمات, وأحياناً يهمسان, و تعابير وجهيهما تدل على عيش حدثٍ حقيقي. أما هي فكانتْ تراقبهم بطرف عينٍ, وعينها الأخرى تهتمُ بأنصاف الأحاديث التي

تديرها مع أختها, وهن يحضرن الأغطية والمفارش للنوم.

(اقتربتْ ساعة النوم, وما زلَ هو و(لولو) عند الحفرة) قالتْ باهتمام. لتضحكَ أم الطفلين وهي تغطي طفلتها الصغيرة التي أنهكها اللعب من الصباح الباكر فنامتْ دونما جهدٍ ككل يوم, وهي تقول:

(الحفرة؟! صرتِ تحبين هذه الحفرة مثلهم!) ومع نهاية جملتها أعلنتْ مجيء وقت النوم, ولا بد من النهوض. على مضض قام الطفلان, وهما يُحذران من الاقتراب من الحفرة خشية السقوط فيها.

ظلتْ قضية الحفرة تشغلُ بالها, واعتلتْ تساؤلاتها الوسادة, والسرير, وأجواء غرفتها (لمَ صنعاها؟! شيءُ يدور في بالهما لا أفهمه تراه ماذا يكون؟!)

واستمرتْ الأفكار تدور في رأسها عن تلك الحفرة, وحسرة كبيرة داخلها لعدم فهمها المغزى من لعبتهم هذه. لكنها سرعان ما تناستْ كل شيء يدور في رأسها,

وأعادتْ الأمر إلى أنها محضُ خيالاتٍ طفولية لا معنى لها.

طوى الليل ساعاتٍ من نوم العائلة, فخرجتْ من تحت الأغطية الوفيرة بعد أن رفضتْ عيناها النوم لسبب تجهله. جالتْ بين الغرف تتأكد من نوم والديها, وأخوتها, لتسير بخفةٍ إلى الغرفة التي تنام فيها أختها المتزوجة عند زيارتها لهم وطفليها الصغيرين, وتصر أختها الصغيرة على النوم معهم, رافضة أن تفارق صديقيها الصغيرين كما كانتْ تسميهما.

وجدتْ النوم قد خيم على هواء الغرفة, وشعرتْ بأحلامهم قد ملأتْ سقف الغرفة!

تقدمتْ لتتأكد أنَّ كلاً تحت بطانيته, فالجو باردٍ هذه الليلة. رأتْ الصغيرة قد انسلتْ من تحت الغطاء, أعادتها إلى مكانها, وطبعتْ قبلةً على جبينها, قبلة صغيرة خشية إيقاظها.

شعرتْ بالنعاس يدب بين أطراف روحها بعد رؤيتها للجميع يسرحُ في عالمِ الأحلام, فقررتْ العودة إلى غرفتها/سريرها والنوم قبل أن يستيقظ الفجر ويمنعها النوم.

تقدمتْ للخروج من الغرفة وهي تتثاءب, حركتْ قدميها بضع خطوات متتالية وربما ناعسة.. ..

لم تلبث إلا أن سقطتْ في الحفرة!

موت أبيض

(إنّنا لا نبكي على الميتِ لذهابهِ عنا.. وإنما لبقائنا دونه)

مصطفى صادق الرافعي

تسمرتُ في مكاني, وكأنّ قدميّ قد قطعتا, أو أن القلبَ قد توقف!

لا شيء ينبض فيّ إلا سؤال يجول في ضلوع الصدمة التي اعترتني (البارحة اتصل, وسمعتُ صوته, فكيف ذلك؟)

أنهيتُ مكالمتي دون أن أفهم آخر ما قالته أمي, فرنين تلك الكلمة أحرق شيئاً ما في قلبي, فبات كلّ شيء معطل عندي.

"مـــات" توقفتْ ساعتي, تسارع نبضي, أنطفأ إحساسي وحتى بصري, فلم أعد أرى شيئاً سوى خطوط سود, وأخرى رمادية اللون, ولمحتُ أحمر ينسل من بين تلكَ الأشكال غير الواضحة.. أخذَ رأسي بالدوار, وعقلي يودُ أن يفكر, بل فكر: أنَّ البكاء عيب, وأن لا تلفتي الانتباه. ومع هول صدمتي لم تبق عندي صيغة عقلٍ أو خضوعِ لفكرةٍ من أفكار التصرف السليم, لدرجةِ أن عينيّ لم تقوَ على البكاء, أما

أعصابي فقد انهارتْ لكن دون ضجة! سحبتني قدماي, فنزلتُ الدرج, وأنا أتخبط برنينِ كلمة الموت, لكني سرتُ بهدوء, ودموعٌ تختبئ خلفَ المنديل محاولةً أن لا تفضحني.. لقيتني (نور) وهي تتحدث دون انقطاع, و (زينب) بقربها يتجادلان وأنا لا أعي كلمةً واحدة! سألتني (نور) : ما بكِ ؟ بقيتُ صامتةً أسيرُ سارحة البصر, والبصيرة!

أوقفتني (وسن) التي ألحت بالسؤال, وأنا لا أرى سوى وجهها المبتسم, وشفتيها الرقيقتين تتحركان صعوداً ونزولاً دون أن أدرك, أو أسمع ما تقول. لحظة خطفتني من وجودي إلى غيبوبة الصدمة. من الابتسامة التي لا تفارقني وأنا معهنَ, إلى ملامحٍ صامتةٍ, ودموعٍ تُحاولُ الاختباء عن عيون الناس. قلتُ وفي نفسي رغبةٌ بالصراخِ والعويل:

-خال....ي ؛ توفي.

لم تحتمل صبراً تلك الدموع الخائفة, لكنها بردِ فعلٍ غريبٍ أجهل مصدرَ قوته, ظلتْ مختبئة خلف الجفن, ولم أجد في فكري سوى ذاكَ السؤال الذي هام في مخيلتي, من لحظة أن علمتُ بموت خالي.

سألتني إحداهن: كيف علمتِ؟ والأخرى قالتْ أنها شعرتْ بشيء مريب عند رؤيتي اتصل, والثالثة لم أفهم ما قالته إذ عادتْ الغشاوة إلي مرة أخرى سمعاً وبصراً, وأنا أتذكر مكالمة خالي أمس, وكيف ضحكَ كثيراً مع أمي, و أخبرها بأمور جميلة, وأخبارٍ سعيدةٍ.

مشيتُ أحاول العودة, إذ تذكرتُ أنه لا بد من أن أكون الآن في المنزل الخالي, خالٍ أجل فالجميع قد ذهبوا كما وعيتُ ذلكَ من اتصال أمي. عدتُ أسيرُ وهنَّ يتحدثن, حتى وصلنا إلى مفترق الطريق, مفترقٌ تمنيتُه أن يزول, وأن لا يأتي؛ فهن يذهبن من هناك, وأنا أسير من هنا. سرتُ وحدي, ككل يومٍ إلا أن _هناي_ اليوم صار موحشاً, ووددتُ لو أنهن بقين معي,

وشعرتُ بما كنتُ اسميه ضعفاً لن يمسني..! والخطوة الحمقاء لا تأتي خلفي, فأنا من أجرها. حتى شعرتُ أن نفسي هي التي تمشي, وليس جسدي! داهمني هاجس مفاجئ كالصدمة الأولى التي أجر عذابها, وعدتُ أسألني:

- من قال أنه مات؟ ربما سمعتِ الكلام بطريقةٍ خاطئة. ربما أنتِ التي متِّ؟ ولا تعرفين! أمتأكدة أنتِ من أنكِ سمعت الخبر بدقة؟ ربما من مات رجل غريب, لا يقربكِ؟؟

وفي خضم صفعِ نفسي بتلك الأسئلة وأخرى, رن هاتفي النقال, إنه أبي.

رجوته في سري خائفة هالكة: أرجوك لا أريد موتاً جديداً !

قال: أسرعي للبيت. تلبكَ في إعطائي الخبر, لكنه الشر الذي لا بد منه, فمهدَ بقوله أن هناك مشكلة, وعقبها بكلمة الموت. كان وقع الكلمة أهون, لا أدري أكان

السبب أنها المرة الثانية التي يصفعني فيها الخبر؟! أم لطريقة نقله صلة بالأمر؟

عدتُ لنفسي, أصارحها بخوفٍ وحزن, أنَّ ما قالته أمي صحيح, وأنه مـــات !

صرتُ أمشي بلا وعي, والدرب الذي كنتُ أمضيه بخمسٍ وعشرين دقيقة يومياً, صار زلقاً, وكأنّ الشارع هو من يسير تحتي لا أنا! شعرتُ بحرارة كبيرة في جسدي, أحسستها وليدة طاقة تدفقتْ فجأة من شراييني إلى عضلات ساقي, زادتني سرعةً في المشي, وقدرة على الحركة السريعة. صرتُ كفراشةٍ تهربُ من حريقٍ شبَ خلفها, ولهيبُ النارِ يحاول أكل أجنحتها, فطارتْ كضوءِ البرق إلى النهاية. وفي خضم التفكير الذي اعتراني عن الحلم الذي عشته ليلة أمس, وكيف أنّ مضجعي قد قُضّ بصرخةٍ كانت مني في الحلم قوية لدرجة أنها وصلتْ إلى حنجرتي الواقعية, وفزعتُ من نومي عند الثانية صباحاً على صوتْ صراخي باسم

أخي.. ظللتُ أفكر, وربما هذا سببٌ أخر في زيادةِ حرارة جسمي التي أوصلتني حد التعرق ونحن تحتَ لسعات بردِ تشرين الثاني.. عشتُ فزعة الحلم بتلك اللحظات من جديد, كنتُ أحتاجُ أن أبكي, إلا أن شيئاً ما كان يوقف ما بعيني من مطر. لا أعرف كيف هو شكلي الآن, وهل ملامح الصدمة وآثارها السود بدت واضحة عليّ؟ أم أن الهواء البارد الذي أستشعره ساخناً قد أخفى عتبة الحزن المفاجئ بلونٍ أحمر!!!

الحلم.. كان حقيقة ,إذن, ولم يكن أخي المراد كما في الحلم, شُغلتُ تلكَ الليلة حتى عن النوم الهانئ وأنا أفكر بتفسيرٍ لذلك الحلم. سمعتُ أنَّ الموتَ في الحلم حياة جديدة, إذن لمَ عندما سقط أخي وصار رأسه بين يدي خفتُ وصرخت؟! أ لأنه كما يقال(ثلثي الولد على خاله) وخالي المقصود؟ أذكر حتى أنني عندما استيقظت _أو فزعتُ_ كنتُ أشعر بملمس وجه أخي في يدي, حتى نعومة شعره الداكن الطويل ظلتْ حبيسة يدي لزمنٍ, ربما خالي توفي في تلك اللحظة؟!

بقيتُ اسألني حتى وجدتني أمام باب البيت, أخرجتُ المفتاح على عجالة, فتحتُ الباب, وعلى غير عادته فتح دون أن يستعصي علي ككل مرة, وألجأ إلى أن أدعو الله واقرأ أية الكرسي ليفتح!! دخلتُ إلى البيت, أغلقتُ الباب, واتكأتُ عليه كتلك الفراشة التي ابتعدتْ عنها عيون النار أخيراً, وهي تلهثُ من تعبِ جناحيها, وآلم صورة التراب الذي يطوي الأجساد في مخيلتها.

صرتُ أبكي بحرقةٍ وجنون, ودموعي كسيلٍ هدَّ السد أخيراً وخرج دون رجعة.

لم أنتبه إلا لصوت التلفاز يقرأ آياتٍ من القرآن, والإنارة الكثير صباحاً, فشعرتُ بدموع أمي التي عبأتْ المكان قبل خروجها. لم تقوّ قدماي على جري إلى أول أريكة أقابلها للجلوس, بل فضل اللاوعي أن يتركني كما أنا, وأن أطلق العنان لمشاعري, وأخرجها بأي طريقة بعد الكبتِ الذي تعمدهُ ظلٌّ حلم الليلة الماضية,

وزرعه دون علم مني في قلبي لأتقبل هول الموقف وأنا هناك.

لا أعرف كم استمر مكوثي عند الباب, لكن ما أعرفه أن بكائي لم يكف, وحسرة كبيرة ولدتْ بقلبي الصغير لحظتها, أنني لم أُقبِّل خالي بأخر عيدٍ مضى, ولم أسأل له زيارة البيت الحرامِ كما أفعل كلّ عام. لم أره إلا من بعيد بين زحمة الضيوف الكثار.. فهل تراه غاضبٌ مني؟!

بداية مختومة !

(الحب هو ألّا يكون لنا أن نقول أننا آسفون)

إيريك سيغال

صرختْ نفسها ابتهاجاً, وأبقتْ عينيها ضمن أطار عدم التحديق المباشر مع الرؤية المسموحة. شرعتْ تتحدثُ في نفسها:

رباه ما هذهِ الملامح الفاجعة, حرقتْ فؤادي تلكِ العيون الذابلة. بها ألف قصة تروي نفسها بغموض العبارة والطريقة. أسرتني تلكِ الأحداق الهادئة.

الشَّعر الفحمي حكاية أسطورية تدلتْ إحدى خصلاته على جبينه الناصع كطوقٍ من الياسمين قد زاد من جمال (فينوس) القديم. خرافية تلك الشفاه الوردية, كقطعة فراولة من جنة الخلد!

أخذت (حنين) نفساً عميقاً, تبعته بتنهيدةٍ لفتتْ انتباه (رقية) الواقفة بجانبها تسألها عن نوع العصير الذي تريده. لم تنتبه حنين لسؤال الصديقة المتكرر, وظلتْ أصابعها تعبثُ بمحفظة نقودها الزرقاء دون علمٍ بما تفعله, وعيناها قد تسمرت بثلاجة العصير الكبيرة..! التفت (رقية) محاولة أن تعرف ما الذي

شغل نظر حنين, لتجد (محمود) الطالب الذي يكبرهم بمرحلتين دراسيتين واقفاً هناك, يُسرح شعره متخذاً من ظهر ثلاجة العصير الفولاذية مرآة له. ضحكتْ وهي تخاطب صاحبتها :

- ما نوع العصير الذي تريدينه هذه المرة يا (حنين), عصير (محمودي) ؟!!

ابتسمت حنين, وعيناها ترقصان فرحاً. أخذتْ نفساً عميقاً, وسرحتْ مرة أخرى إلى عالمِ الوصف بعد أنْ أصبح أميرها الفتي قرب ثلاجات العصير, يتأمل أحداهن وما فيها من أنواع, قالتْ في نفسها:

ويلاه ما هذا الطول, نخلة من البصرة قد طلتْ عليّ.. لحظة؛ أيّة نخلة تقصدين؟! أو رأيتِ نخلة بيضاء! أنظري إلى بياض هذا الروح الواقف أمامكِ.. جمالٌ روحيّ لا مثيل له... قميصٌ ذاكَ الأبيض, أم نقاءُ قلبه؟ أم أنَّ الجمال ينبع والـ..........

سحبتْ نظرها فجأة, وتوقفَ خيالها العاطفي عن الوصف الذي أساسه نظرها لا غير. والتفتْ إلى جانبٍ آخر, بعد أن التقى إصرار بصرها بنظره, الذي أنتبه إلى مراقبتها له مِن بُعد. شعرت أنه ربما فهم اصطناعها الحديث مع صديقتها, وكشف محاولاتها الفاشلة بإخفاء إعجابها الذي عبأ المكان هذه المرة, ولم يسترها البتة. وهذهِ ليست أول مرة يراها فيها, إذ تظنه يحفظ شكلها مع أنها طالبةُ المرحلة الأولى وهو الذي يكبرها بمرحلتين دراسيتين.

مرت أيامها بين مطر وشمس وهي تحاول أنْ تختبئ في كلتا الحالتين منه _ربما_ كما كانت تظن, أو من نفسها كما كانتْ تقولُ لها صديقتها دوماً!

في يومٍ جميل الطقس, مشمس السماء, عذب في وجوده بين الأيام بجوهِ الخريفي؛ شرعتْ الساعة تنادي بالدخول إلى القاعاتِ الدراسية, وعلى مقربةٍ من باب الدخول العام, أنتُزِع الهدوء بضجة الطلبة,

وكثرتهم الواقفة حشداً مدججاً بكتبِ العلم, ولوازمه! وبينما كان النقاش مستمراً بين (حنين) وصديقاتها عن القطة التي تقتحم عليهن جلستهن الصباحية في الحديقة, وخوف بعضهن منها, والمحاولات الجادة للتخلص منها بشكوى لعميد الكلية, أو ربما يرفعُ الأمر لرئيس الجامعة. وفي لحظةٍ مثلتْ قمة النقاش/الزحام عند الباب؛ زاحمهن طالبٌ متوسط القامة, منتفخ العضلات, صوت ضحكته يهز المكان, ليتعمد دفع (حنين) قائدة الحديث الكائن بين فتيات المرحلة الأولى, فسقط ما في يدها من كتب, وأوشكتْ على السقوط لولا أنْ رقية أمسكتْ بذراعها, وساعدتها على الاتزان قبل أنْ تقع.

ظل صوتُ الشاب الضاحك يرن في الأذان, وجميع الواقفين _أو الماشين ببطء شديد_ للدخول إلى البناية ينظرون بعيون مستغربة من الأمر, غير مكترثتين له!

أما (حنين)، فالغيظ كاد أنْ يخنقها، ويُقطع أوصالها. وقبل أنْ ينطلق أيُّ حرف ثائر من حرقة قلبها، سحبتها (رقية) من يدها من بين الجميع، وأخذتْ تُهدأ من نفسها المنفعلة.

أثناء خروجهما من منصة الحدث، وانسحاب (حنين) من بين الطلبة. وبين تأثير الحدث، وكلام الصديقة الناصح، المهدئ؛ لاح لنظرها منظر (محمود) يقف على مسافةٍ من موقع الحادث، وهو يضحك لدرجة أن وجنتيه قد اشتعلتا حُمرة واضحة، وعيناه تنظرانِ إليها بازدراء، وسخرية!

ظلتْ (حنين) جامدة في مكانها، مقاومة ما تراه أمامها، وسؤال وحيدٌ يتنقل بين عقلها وقلبها: أيعقل أن يكون ملاكها الأبيض النقي هو المسؤول عن هذا؟

دون أن تنتظر إجابة من نفسها، أو حتى أن تفكر ملية بصحة الأمر، التفتتْ بنفسها هذه المرة عنه، وفي عينيها يرتسمُ حقدٌ كان في بدايته إعجاباً طفولياً!!

جــدار

(فِي قلبِ كلّ شتاءٍ ربيع نابض... و وراء كلّ ليلةٍ فجرٌ باسم)

جبران خليل جبران

(الطموح يقتلنا أحياناً) !

قالتْ عبارتها التي بدتْ مقتنعة بها جداً, وهي تتأمل ملامح وجهها في مرآتها المشطورة نصفين!

تركتْ مكانها, وأجزاء المرايا تُفصلُ تقاسيم وجهها. خطتْ بهدوء إلى حيث سريرها, و دون أن تقوم بما تفعله كل ليلة من قراءة آية الكرسي, ونفضٍ للأغطية, وعلى غير العادة, أنسلتْ تحت الأغطية من دون أية مقدمات, ومازال شكل البؤس يعلو ملامحها, وصورة انشطار ملامحها قد طبعتْ في مخيلتها.

فكتْ الشريط الذي يمسك خصلاتِ شعرها الفحمي الطويل, خبأتْ الشريط تحت طياتِ الفراش, سَلمتْ رأسها المليء بالأفكار للوسادة. وظلتْ حبيسة صمتها المبطن بنحيب أحلامٍ يضج في مخيلتها, وصراخ أمنيات يعبئ قلبها. فانفعلتْ أكثر, وزادتْ تعابير وجهها تبياناً للبؤس الذي يرسمها تلك الليلة.

أعادتْ جملتها الأولى بنبرةٍ واضحة الصوت مع يقين أكبر (الطموح يقتلنا دائماً)!

فإذا بلفظ الديمومة يرتطم بطبلتها السمعية, ولبرهةٍ توقف كلّ ما كان يدور داخلها من انفعالات. فكلمة (دائماً) خلقتْ في فكرها تساؤلاً عن مدى انزعاجها, وعن جرأتها لطرح هذه التهمة, فجاءتْ المخيلة ببعض أسئلة تركض مسرعةً إليها:

(كيف؟ كيف دائما يا ذكية؟ احترمنا انزعاجكِ من الواقع في بعض الأحيان؟ أما أن يكون الطموح قاتلاً, وداماً! فهذا ما لا يُرضى منكِ أنتِ.)

حركتْ خصلةً من شَعرها _الذي تشعره حزيناً معها_ المرتمي على الوسادة المرهقة بأمنياتٍ وأحلامٍ بعيدة, ولم تكتفِ بذلك لتوضح ضجرها لأفكارها, فعدلتْ جسدها الملقى على السرير ينتظر هدوء النوم يدب فيه. أيقظتْ وسادتها التي غفتْ للحظة, وجعلتها

مصفوفة إلى حافة السرير القريبة منها, وساقاها ممدودتان, ومازالتا تنعمان بدفء الأغطية.

تأملتْ الجدار الذي أمام نظرها, ركزتْ فيه كثيراً محاولةَ أن تجد ما تقنع به بنات أفكارها أن طموحهنَ قد قتلها, فهلا كففنَ عن النظر للعُلا؟!!

حركتْ يديها عبثاً, وكأنها تصفعُ الهواء المحيط بها. شعرتْ بالبرد يدبُ في أكتافها. بحركةٍ خفيفة سحبتْ شعرها النائم لتسدله على كتفيها, وجدته يرتجف برداً! حاولتْ البحث عن شريطها الأبيض حيثما وضعته, بين طيات الأغطية, لم تجده. عاودتها نوبة انزعاج, فحضنتْ أطرافها الممدودة, وجلستْ القرفصاء, طاوية أطرافها إلى بعضها, وعاودتْ التأمل في ذاك الجدار!

كلّ تلك الحركات, والمحاولات, كانتْ غير قادرة على أن تُهربَ تلكَ الأفكار إلى الخزائن البعيدة كما كانتْ تفعل

دائماً, إذ باتتْ اليوم قريبة, وماثلة أمام عينيها, وفي مخيلتها, وكأنها تُحاسبها على قولها!

ظلتْ ماثلةً أمام محكمة الفكر لوقتٍ طويل, والأفكارُ تتوارد أمامها بصخبٍ كبير, وهي تصرخ في سرها بوجه الليل أن كيف تصل إلى تحقيق حلمٍ ولد مع أول صرخةٍ لها في الحياة, وكبر بين فرحةِ الأهل بأنّه حلم فتاتهم؟!

حزن الليل عليها, لكنه ملَ أيضاً من تساؤلاتها, ولامَ أفكارها سائلاً: متى أجدكِ تُقومين لحظات ضعفِ هذه المسكينة؟!؟!

فجأة شعرتْ بأنها دافئة, لا برد يقرص أطرافها, ولا أكتافها. ولأنها قد طوتْ أطرافها الأربعة لم تعد تشعر بها, وكأنها بلا قدمين! بلا يدين! لم تتحسس بوجود نَفسها في مكانها, لم تشعر سوى بحرارةٍ تنبعثُ من جدل الأفكار المكتظ في رأسها.

بصعوبةٍ بالغة حركتْ يدها اليمنى, لتتلمس أنفها. شعرتْ بوجوده وهو يكاد يختنق برداً. همستْ بصوتٍ متعرجٍ بالكاد يعبرُ حبالها الصوتية المتجمدة:

- أظنني على قيد الحياة !!

كان لا بد لليل من أن ينهي هذا الصراع الطويل بين ذاتها الطموحة, و روح واقعها اليائسة. فحملَ سلة لآلئه ومضى يسيرُ مبتعداً. ليصلَ الفجر بحقائبه المعبئة بنهارٍ جديد.

استغلتْ فكرةً يافعة من بركان صراع الفتاة مجيء الفجر, فخرجتْ بسرعةٍ لترسم نفسها على الجدار, علَ صاحبتها تؤمن ببراكين فكرها, وثورة القلم.

صدها الجدار الأمامي بقوة, فعادتْ كشهبٍ ساطعة, وارتطمتْ بأنف الفتاة..!

فزعتْ, وربما تألمت, أمسكتْ أنفها بقوةٍ, و نهضتْ من جلستها مسرعة إلى منضدة صغيرة قابعة في زاوية الغرفة, أمسكتْ قلماً, وقالتْ بيدٍ ثابتة:

- أنا على قيد الحياة.

ما وراء شجرة الآس

(الكتابة أمر حسن... لكن التفكير أفضل

والمهارة أمر حسن... لكن الصبر أفضل)

هيرمان هيسه

من رواية سدهارتا

عبرتْ الشارع بصعوبةٍ بين جموع الطلبة, وزحمةِ السيارات. اتخذتْ من الرصيف محطة انتظار لها. وهنا _وككل يومٍ_ وقفتْ بانتظار أخيها حيث يقلها من المدرسة إلى البيت, ذلك بعد أن ينهي محاضراته الجامعية.

هي بطبيعتها تحب الانتظار, ولها القدرة على الصبر لفتراتٍ دون أيّ ملل. فغالباً ما تستغل فرصة إجبارها على الانتظار, وتسرح في عالم الخيال والتأمل, لتجد ما تلهي به صبرها فلا يطوقه الملل. كانتْ تحبُ الابتعاد عن الواقع برسومٍ خيالية من صنع أفكارها. إذ تسمح لها بالسفر في عوالم شتى, دون أن يزعجها أحد, أو يطلب منها تأشيرة دخول. فالسفر في المخيلة هو أمتع ما تقضي به وقتها. لذا قلما تنزعج من تأخر أخيها عن موعد قدومهِ إليها.

وقفتْ في مكانها اليومي, وشرعتْ بالبحثِ عن ما يزيحُ ملل الانتظار.

تخيلتْ كلّ السيارات المارة قِرَدة في غابةٍ كبيرة, والشارع المجاور لها نهراً !!

ضحكتْ في سرها, إذ تداركتْ الموقف بأن القِرَدة لا تسبح في الماء, لكنها سألتْ وكأن الأمر حقيقة: لمَ هي هنا إذن؟! لمَ لا تذهب إلى أعالي الأشجار؟!

غيرتْ سير فكرتها, فجعلتْ الشارع عشباً أخضر, وأعمدة الكهرباءِ رأتها أشجار صنوبرٍ ضخمة تمتلئ بها الغابة. بعد فترةٍ تجولٍ لعينيها الخياليتين بين الأشجار, أسعفتها مخيلتها بتقريرٍ وثائقي رأته قبل مدة. كان عن غابةٍ كبيرة, بأشجار عالية, وحيواناتٍ كثيرة. فكرتْ لبرهةٍ أي أنواع الحيوانات يجب أن تتواجد في هذه الغابة الافتراضية يا ترى؟!

اختارتْ العم سعيد, حارس المدرسة, والذي لا يفارق باب المدرسة أبداً على أنه سلحفاة! لماذا السلحفاة تحديداً؟! لا تدري. هو خيار مخيلتها.

طاف نظرها حولها, بعض المارة رأتهم غزلاناً. كن صديقات الفصل الدراسي. لكنها لم ترهم إلا غزلاناً! تأملتْ الجانب الآخر من الطريق, بعض السابلة أرتها إياهم مخيلتها أنهم سناجب. سناجب تمر من خلال الممر العشبي!.

في ظلّ تأملاتها خرجتْ تماماً من واقعية ما يحيطها, فرأتْ قطيعاً من الماعز الجبلي, أعجبها منظره, وهم بين الأسود والأبيض!

عادتْ إلى القِرَدَة. لم تكن تحب سرعتهم, ولم يعجبها أن هناكَ قرداً أحمر, وآخر برتقالياً. أخذتها غيبوبتها الخيالية بعيداً, فتارة ترى السيارات فراشاتٍ بأجنحةٍ ملونة. وتارة أخرى تراهم طيور حبٍ مختلفة الريش بألوانها الزاهية.

ومرة عادتْ لترى الشارع نهراً يجري من وسط الغابة/غابتها, وأسماك كثيرة بأشكال غريبةٍ تسبحُ في ذاك الماء النقي الشفاف!

بين تلك المحاولاتِ, لم تعد تشعر بمللِ الانتظار. لم تحب أصلاً أن يصل أخوها ليقلها للبيت, فالتأمل هنا أفضل من كل الدنيا بالنسبةٍ لها.

كان أصحاب المحال المجاورة لذاك الشارع قد تعودوا رؤيتها تنتظر هنا بعد المدرسة, وحفظوا شكلها تماماً. فكانتْ عند ظهر كل يومٍ تقف على الرصيف بهدوءٍ, وبيدها سترتها التي لا تحب ارتداءها. إذ تضطر لذلك تحت إصرار أمها, وخوفها عليها من أن يمسها البرد. فتحترم رغبة أمها, وتلبس السترة في الصباح الباكر فقط, لتنزعها عند وقت العودة.

بيدها السترة, وعلى ظهرها تنام الحقيبة المدرسية مرهقةً من ثقل كتب الدراسة المتوسطة, وربما من تعب الدراسة نفسها. وتبقى في حالة انتظار قد تطول أحياناً, حتى يصل أخوها إليها من زحمة السير.

في هذا اليوم؛ ظلتْ ككل يومٍ تنتظر قدوم أخيها, وهي ترسم في مخيلتها آلاف الصور والخيالاتِ عن ما يحيط

بها. استقرتْ أخيراً على أن الشارع نهر, والأسماك تسبح فيه دون قيدٍ. لم تعد تميز أن الطريق هو طريق, والشارع الذي تقف عند الرصيف المحاذي له هو شارعٌ, و بهِ تمر السيارات لا الأسماك! فخيالها أخذها إلى أبعد مما هو واقعي, وحقيقي. لم تعد تسمع صوت الناس, أو محركات السيارات في زحمتها. لم تكن هناكَ في ذاك الشارع بقدر ما كانت في تلك الغابة الخضراء, التي يمر من وسطها النهر!

من بعيد رأتْ خيال قطة. ما أن ركزتْ بعمقِ البصر فيها حتى رأتها تقف عند إحدى الأشجار تنظر نحوها.

تمنت أن تأتيها القطة, إذ أنها لا تقوى هي على عبور النهر. صارتْ تحدثها بصوتٍ خافتٍ, وتناديها. تذكرتْ التقرير الوثائقي من جديد, وكيف أن القطة لا تعبر الماء. سمعتْ صوت موائها, تهيأ لها أن القطة تناديها أيضاً. فرحتْ في سرها أن القطة فهمتها, وبادلتها

الحديث. فصارتْ تحاورها بصوتٍ واضحٍ كي تسمعها, والقطة ترد على حديثها بمواءٍ يعلو كل مرةٍ أكثر.

في مخيلتها كان جزءٌ من الإدراكِ يبقيها قيد مكانها عادةً, ودون أن تتحدث مع خيالاتها بصوتٍ مسموع. لكن مواء القطة كان أعلى من أن تعي أيّ شيءٍ حولها, فآثرتْ أن تبعد شجرة الآس التي تحاصر قدميها, لتنطلقَ نحو القطة.

لم تبالِ للماء, ولا حتى للأسماك التي كانتْ تراها في النهر. تركتْ سترتها على الأرض, ورمتْ الحقيبة. تقدمتْ بصعوبةٍ وهي تحاول التخلص شجيرة الآس القريبة منها. حررت قدميها, ومضتْ نحو النهر.

أوجستْ في نفسها خيفةً من الماء, لكن صوت القطة هو ما دفعها للمخاطرة. تأملتْ الماء, رأته صافياً صفاء السماء. أنزلتْ قدميها, وبدأتْ تتحرك باتجاه الشجرة التي تقف عندها القطة.

استغربتْ اختفاء الأسماك فور دخولها النهر. لكنها لم تبالِ أبداً, وفسرتْ الأمر على أن الأسماك خافتْ منها. واصلتْ تقدمها, فهدفها الوحيد أن تصل إلى الجهة الأخرى حيثُ القطة.

أندثر مواء القطة بصوتٍ علا فجأةً, حاولتْ أن تعرف ماهية الصوت؟! ومن أين يأتي؟ استدارتْ إلى جهة اليمين بعد أن قطعتْ مسافة لا بأس بها.

رُعبتْ مما رأته, وجمدتْ في مكانها. كانتْ سمكة كبيرة بحجم النهر الذي هي فيه! لم تسعفها مخيلتها على إدراك الأمر, أو الهرب. وما ظلتْ فيها قدرة تحريكِ إصبع واحد بعد أن داهمها منظر السمكة الضخمة!!

صرختْ خوفاً من اللحظة, وهي لا تعرف ماذا تفعل؟ ولا يقوى قلبها على ترك القطة التي تراها محدقة النظر فيها.

رأتْ السمكة التي لم تميزها _أهي سمكة قرشٍ؟ أم حوت؟!_ رأتها تقترب منها بسرعةٍ خاطفة للأنفاس. وهي مازالتْ في مكانها.

بلحظاتٍ شهقتْ فيها, فلم تعد تعرفُ الصراخ أمام هول ما ترى؛ سمعتْ صوتاً عالياً لبوقِ سيارة. صوتٌ رج في أذنيها بقوة كبيرة. فخطفَ حواسها, ولبرهةٍ رحلتْ عن كل العوالم وعياً, ودونه!!

لم تلبث إلا أن شعرتْ أنّها بين ذراعي العم سعيد, حارس المدرسة, وهو يصرخ بالناس المتجمعين حوله بسرعة طلب سيارة إسعاف.

هي على يقين تامٍ أن عينيها مفتوحتان. وأنها بين ذراعي العم سعيد. وأن بوق السيارة التي صدمتها هو الصوت الذي لم تميزه.

لكنّها ظلتْ تسأل نفسها النازفة: لماذا ترى العم سعيد السلحفاة التي رسمتها له في مخيلتها؟!

ومضة من حلم آخر

أسرار نعش

مَشيتُ خَلفَ النّعشِ, أُحاول أنْ أفتحهُ!

منعني أهلُ الميتِ؛ احْتراماً له, أو ربما كي لا أوقظه !

كُنتُ أودُ استراقَ نظرةٍ واحدةٍ لا أكثر. نظرة تُبررُ لي دَفنهُ, وتُقنع أوردتي وشراييني أنَّ من عِشنا فيهِ دَهر خَلفَ دهرٍ قد مَات !

حاولتُ بكلِ جهدي, وحاولتُ, ثم حاولت. . . .

أخرجوني من سيرِ الجنازة, وصادروا دموعي علناً !!!!

شاي

وبَّختهُ بشدةٍ, وهددتهُ - بلهجةِ الأُمومة - بعقوبةٍ إن أعادَ الكرة, وسكبَ الشاي على السجادة.

بدأ يبكي بحرقة, وهو يُقدمُ اعتذاراتٍ طفولية. أجلستهُ بقربِها, مَسحتْ دُموعهُ بقبلة. حَاولتْ أن تُفهمه سوءَ فَعلتهِ, وهو يطرق برأسهِ دليلَ فهمِهِ للأمر.

استغلتْ الموقفَ لِتدفعهُ إلى التقليلِ من شُربِ الشّاي, وإفراطهِ فيهِ, وتفضيلهِ على كلّ ما تُقدمه له.

قطبَ حاجبيه, وضّم شفتيه اعتراضاً, وبدتْ عليه علاماتُ عدم الرضا.

نظرَ إلى أمهِ نظرة مُقتنعٍ برأيهِ, وقال:

أنا أحب الشّاي, لأن بابا يقول من يحب الشاي يكون رجلاً!!!!

منديل فكرة

غالباً ما كنتُ أسألني (لماذا المطرُ جميل؟!)

راودتني فكرة هذا اليوم. عَدتني إحدى وسائلها في إثبات جمال المطر _هذه المرة_!

جلستْ الفكرةُ على الأريكةِ متربعةُ الساقين أمامي. أخرجتْ منديلها الأبيض, طوته.... ثم فتحت طياته, مسحتْ به جبينها؛ حينها سمعتُ صوت المطر يصفع نوافذ غرفتي, وبشدة!

أرتبك الفهم عندي, سألته أأنا في حلم؟ أم أنني فهمتُ الأمر أكثر مما يجب؟! أرى المطر من جبين هذه الفكرة, أشمه وكأنه عَرقها الأبيض في منديلها الأبيض...!

ظل الفهم صامتاً, مُحدقاً بي بعينين ذابلتين, وكأنه استيقظ تواً من نوم طويل.

عدتُ بكياني إلى الفكرة. قلتُ لمَ أخجل من الحديث معها؟! هي فكرتي, إذن لمَ الانطواء أمامها؟!

عدتُ وسألتها: هلاّ أخبرتني كيف نشرتِ منديلكِ الأبيض على حبالِ السماء؟ فبات المطر يتبعثر في الهواء, ويصلنا وهو في انتشاء؟!

ظلتْ صامتةً هي الأخرى. بعد برهةِ تساؤل مني, ابتسمت!

قلتُ : لمَ تبتسمين؟!

مدتْ ساقيها, وأخذتْ تضحك... أنكرتُ عليها ذلك, أدرتُ رأسي عنها, تململتُ مما حولي.

تنبهتُ, فرأيتها تُعدل من جلستها, وتطوي منديلها الأبيض, وتقبضُ على قلمٍ صغير. بدأتْ تكتبُ شيئاً على طياتِ البياض, لم أعرف ما هو!!

بهدوءٍ حملتْ المنديل, ومضتْ !!

أشياء

- ليتني لم أكن فيكِ!

قالتْ نفسي وهي متذمرة. أوجعتني، لكنني أخفيتُ شعوري. سألتها:

- لمَ؟! ألم أعد أعجبكِ؟!

أمعنتْ النظر في السماء، ودون أن تنظر في عيني، قالتْ:

- أرهقتني احتمالاتكِ التي ترسمينها بألوان الحياة!

بقيتُ صامتةً، متصنعة عدم الاكتراث لما قالته. فأكملتْ:

- أعطني تلك الحقيبة، لألم أمتعتي.

استدرتُ إليها، باهتمامٍ قلتُ :

- إلى أين؟

ابتسمتْ لسؤالي, فأجابتني على عجالة:

- سأرسمُ لي مكاناً أخر أعيش فيه. لن أسكن بعد اليوم في هذا المربع!

بسخرية منزعج قلتُ:

- سترسمين دائرة مثلاً؟! وتقفين وسطها حتى قيام الساعة؟!!

لم تجب. بدأتْ تناثر الأشياء حولي, عابثةً, وربما محاولةً أن تنظمها!

فكرتُ لِلحظة. قلتُ:

- أنتِ أيضاً مرهقة.

هدأ كل شيء حولي لبرهة. أكملتُ حديثي بثقة:

- تحملتُكِ كثيراً, بكل ما فيكِ. وصبرتُ صبر نصوحٍ, لا صبر جدار!

توقفتْ عن العبثِ. قالتْ بهدوء:

- إذن نحن متعادلتان. فلنفترق.

خطوتُ نحو الباب. أوقفتني:

- ألن تأخذي أشياءك؟!

نظرتُ إليها. تأملتُ الباب. كنتُ موقنةً أنني لا بد أن أخرج, وأدركتُ أنه لا غنى عن أشيائي. أومأتُ لها:

- تعالي. أدخلي جيبي !!

عســل

ظلتْ مُحدقةً بالمرآة تتأملُ تجاعيدَ وجهها, وبيدها أحمر الشفاه.

سألها هاجسٌ لجَّ في سَرابِ وعيها:

(أتقوى وجوهنا على إخفاءِ عثراتِ السنينِ عَنها؟!)

لِبرهةٍ صَمتتْ. لكنها سرعان ما ابتسمتْ لِنفسها, وكتبتْ على المرآة بقلمِ الشفاهِ (أنا عسل) !

لكنها لم تلبث إلا وقد اجتمع سربٌ من النمل قادم من كلّ فجٍ عميق!!

هنـا

- المصيبةُ أنني هنا.
- لمَ ؟!
- لأن الـ (هُنا) مصيبة بحد ذاتها !
- والـ (هُنَاك)؟ أما له موقعٌ من الإعراب ؟!
- طبعاً له. أو ربما لا .
- أتتحدثين عن حجم الواو الفاصلةِ بين الـ (هنا) و الـ (هناك)؟!
- (هُنايّ) يحملُ كل ما لكم بين طياتِ إحساسي، لذا هنا المصيبة.
- وكيف تترجمين الإحساس بـ (هُنـاَنـاَ) مصيبة؟!
- أتدرين لمَ أره مصيبة؟! لأنكم تتنفسون من خلالِ (هُنَاي).

لا يبيتُ أحدكم إلا و ومضةٌ من قبس نهارهِ تُسكبُ في ضياء مصباحي. تنامون أنتم،

و أرواحكم تُجالس أفكاري حتى انبلاج الفجر؛ ثم تهربون !

- ألهذا القدر تحبيننا ؟!

- ليس حباً, بقدر ما هو شعور.

- حبٌ أم شعور؟ ما الفرق؟!

- الفرق يكمن في داخلي أنا.
- ومن أنتِ؟
- أنا, أنتِ!
- حسناً, سأصدقكِ.
- كيف لا تُصدقين وأنا التي ترى الفجر قبلكم؟!
- صحيح!
- اذهبي الآن, وإلا ستتيهين, فطريقُ العودة مظلم.
- نحنُ في الظهيرة, أيَّ ظلام تقصدين ؟!
- ظلامُ رؤيتهم لكِ. ارحلي هيا. تأخرتِ.

- فهمتكِ. إلى اللقاء.

- بل .. الوداع!

مشنقة

توسلتهُ في سري أنْ يقف, لكنهُ عاندني, وزادَ خطواته بتجاذبِ أطرافِ الحديث مع زميله .

كلّ خطوةٍ كانتْ كالسيف الحاد يقطعُ جزءاً من كبد صبري, لأنزفَ صمتاً لا حبراً على الورقة الفارغة بين يدي!

ظلّ الأستاذ المراقبُ يذرعُ القاعةَ بخطواتهِ التي تُفزعِ طيور الوحي المتجمعة عند واحة ورقتي, وتحملها على الهرب!

تركتُ ورقة الأسئلة جانباً, بعد أنْ تركتني الأجوبة المعلقة عند حافة ليلة الامتحان, وإعيائها؛ وأيقنتُ أنها شُنقتْ بضجة ذاك الحذاء الأسود !

تجمعتْ بأطرافِ عيني دموعُ حزنٍ, غاضبةٍ, تأبى النزول؛ فحسبي لا شك فيهِ أنَّ معلوماتي سقطتْ شهيدة, مدافعة عن إيصال درجتي نحو النجاح.

نهضتُ من مكاني, خطوتُ إليه, وبهدوءٍ يبطنه الغيظ سألتُ:

" شنقتَ نجاحي, هلا خلعتَ حذاءك إن سمحت !!!! "

هروب

كالعادة, تجمعتْ أطيافُ كلّ من عرفتهم _يوماً_ عند سقفِ غُرفتها!

لم تكن تعرف من أين يخرجون؟ وكيف يجتمعون؟! لكنها _ومنذ الطفولة_ آمنتْ بوجودهم هنا!

بدأتْ تحب هذا الطقس, لأنها أدركتْ أنَّ وحشة الليل لن تقوى على تخويفها, ولا أظافرُ الوحدة تتمكن من خربشةِ وجهها! صارتْ تعتمدُ الأطياف في إلهامها الفرح, وشعورها بالأمان. ولم تنسَ لسنين طويلةٍ أنْ تجدد طلاءَ السقف بألونٍ مختلفة, وربما أشكال أيضاً !!

في ليلةٍ ضبابية, كانتْ تمسكُ بطرفِ قلمها النائم عند حافة الأسطر. رفعتْ رأسها تُحدقُ بسقفها, عسى أنْ تشرق نفسها.

دون أن تتنبه سقط قلمها عند أسفل المنضدة المثقلة بهموم واقعها.

فزعتْ الأطياف, تناثرتْ هرباً, وتركتها وحيدةً !

دنيا ؟!

في ليلةٍ, ضبابيةٍ, غائمةٍ, مليئةٍ بالذكريات. هَمَّ برَسمِ (دُنيا) على الجدارِ القريبِ من سريرِ أحلامه.

لا يعرفُ لماذا أصّر طبشور يُمناهُ على رسمِ حقيبةِ يدها الصغيرة, وابتسامتها النادرة؟!!

ظلَّ مُحدقاً بها, وشفتاهُ تحاولان عبثاً الانبساس بحرف!

استلقى على السرير, وعيناه شاخصتان بابتسامة (دنيا).

عندما استيقظ, أعاد نظرهُ بسرعةٍ إلى الجدار؛ لم يجدْ سوى أثار أقدام !!!

طنين جواب

أزعجه تواجد بعوضةٍ عند منضدة أوراقهِ.

ظل يهش وجودها, وأجنحتها, علها تتركه لحال ذاته المنزوية, ليعود باحثاً عن جوابٍ يختصر بهِ ما يدور في خلده!!

لم تتركه البعوضة لحال شأنهِ, بل ظلتْ تُزاحمُ هواءَ أفكاره. فتارةً تقرفصُ بزهوٍ على أنفهِ, وتارةً أخرى تسبحَ في فضاء فكرهِ المنتشر في الغرفةِ, مصدرةً طنيناً يُخيفُ أفكارهُ!

بدأ صوتُ أجنحتها يفقده أعصابه شيئاً فشيئاً. لكنه ظل ساكناً, مصطنعاً التفكير!

بحركةٍ خاطفةٍ مد كفهُ, وصفع الهواء بقوةٍ مثلتْ ما خلف سكونه.

انتبه إلى المنضدةِ؛ وجد جواباً يلفظُ أنفاسه الأخيرة!!!

الفهـــرست